دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة
١٨٣٠م - ١٨٣٢م

بورمضان عبد القادر
أستاذ مساعد قسم (أ)
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥ سكيكدة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

تميزت علاقات الجزائر وفرنسا طيلة الفترة العثمانية (١٥١٨ – ١٨٣٠م) بعدم الاستقرار، وفي مطلع القرن التاسع عشر وصلت إلى حد القطيعة لعدة أسباب أبرزها قضية ديون القمح التي أدت إلى حادثة المروحة ١٨٢٧م وإعلان فرنسا الحصار البحري على الجزائر، وانتهت إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة في ٥ جويلية ١٨٣٠م. وفي سياق سياسة التوسع الفرنسية المبكرة في الشرق الجزائري استهدف القادة الفرنسيون مدينة عنابة لأهميتها الاقتصادية والتجارية لفرنسا، لذلك عمل الداي حسين على توجيه تعليمات إلى أحمد باي لحماية هده المدينة خلال فترة الحصار البحري للسواحل الجزائرية (١٨٢٧ – ١٨٣٠م)، والتي كانت تعيش اضطرابات وأوضاعًا صعبة عشية الاحتلال الفرنسي ميزها سوء العلاقة بين سكانها وأحمد باي، وقادة جيوشه بن زقوطة ثم بن عيسى، فقامت فرنسا بثلاث محاولات لاحتلال مدينة عنابة، الأولى كانت بقوات معتبرة سنة ١٨٣٠م قادها الجنرال دامريمون Damrémont وفشلت بسبب المقاومة، والانسحاب المفاجئ للفرنسيين بسبب ثورة باريس، والثانية كانت سنة ١٨٣١م في شكل دعم مادي وعسكري لسكان المدينة ضد أحمد باي قادها النقيب بيغو (Bigot) والقائد هودر (Huder) وانتهت بنكسة فرنسية دبرها إبراهيم باي، والثالثة عام ١٨٣٢م وقادها النقيبين دارمندي (Darmandy) والمملوك يوسف ونجحت في احتلال القصبة والمدينة وانسحاب قوات بايليك قسنطينة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٢ أبريل ٢٠٢٠
تاريخ قبـول النشـر: ٢٠ مايو ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

الاستعمار الفرنسي؛ الشرق الجزائري؛ الحصار البحري؛ أحمد باي؛ تاريخ الجزائر الحديث

معرِّف الوثيقة الرقمي:

DOI 10.21608/KAN.2020.168182

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بورمضان عبد القادر. "الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة ١٨٣٠م - ١٨٣٢م".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد الثامن والأربعون؛ يونيو ٢٠٢٠. ص ١٣٢ – ١٤٤.

Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: saidhisto6@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقَدِّمَةُ

تُعَدّ فرنسا من الدول الأوروبية التي تمتعت بامتيازات في الجزائر، لكن ذلك لم يمنع من توتر العلاقات بين الدولتين لأسباب مختلفة وصلت هذه العلاقات إلى حد القطيعة بعد حادثة المروحة بين الداي حسين باشا والقنصل الفرنسي دوفال Duval ١٨٢٧م، التي أدت بعد حصار بحري لثلاث سنوات بين (١٨٢٧ – ١٨٣٠م) لاحتلال فرنسا للجزائر في ٥ جويلية ١٨٣٠م. لم ينتظر الفرنسيون كثيرًا حتى وجهوا أنظارهم إلى مدينة عنابة الساحلية لإخضاعها، وكان لهم ذلك بعد ثلاث محاولات في الفترة بين (١٨٣٠ – ١٨٣٢م) ومن هنا أطرح الإشكالية: بماذا نفسر مسارعة الفرنسيين لاحتلال عنابة؟ هل يعود ذلك إلى معرفة الفرنسيين بضعف الجبهة الداخلية بالمدينة؟ أم لاستعداد جزء من السكان لاستقبال الفرنسيين؟ وكيف احتل الفرنسيون هذه المدينة؟ وبما نفسر سقوطها السهل في الحملة الثالثة؟

ويكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة، لأن اهتمام الفرنسيين باحتلال مدينة عنابة كان لإدراكهم أهميتها ليس فقط الاقتصادية والجغرافية فحسب، بل أهميتها بالنسبة لعملية التوسع الفرنسي في الشرق الجزائري، وعاصمته قسنطينة، فلا غرابة أن نرى الفرنسيين يتخذون بعد سنوات قليلة عنابة كقاعدة انطلاق لاحتلال قسنطينة عام ١٨٣٦م في المرة الأولى ثم ١٨٣٧م في المرة الثانية.

أولاً: العلاقات الفرنسية الجزائرية مطلع القرن التاسع عشر

١/١-توتر العلاقات بين فرنسا والجزائر وحدوث القطيعة

على خلفية قضية ديون القمح اتصل حسين باشا (١٨١٨ م-١٥٣٠م) بقنصل فرنسا دوفال[١] وتحدث معه حول قضية القالة التي بنى فيه الفرنسيون بناء، ووضعوا فيها مدافع وقد نفى القنصل هذه الأخبار، وسلم له الداي رسالة إلى ملك فرنسا حول قضية الديون، والقالة، وعشية عيد الفطر ٢٩ أفريل ١٨٢٧م حضر القنصل إلى قصر الداي لتهنئته فسأله عن جواب الملك فرد القنصل بالنفي، فاغتاظ الباشا وضربه بمنشة الذباب، وشتم القنصل، والملك الفرنسي وطرده، وبعد كتمانه للحادثة لأيام أعلم القنصل حكومة بلاده بها أواخر ربيع ١٨٢٧م.[٢]

وكان الداي حسين قد عزل سنة ١٨٢٦م باي قسنطينة محمد منماني، وعين مكانه الحاج أحمد باي[٣] وهو كرغلي، وقد توجه إلى الجزائر صيف ١٨٢٧م في أول حملة للدنوش[٤]، وعاد أحمد باي بعد إتمام الضيافة، وبعدها جاءت مراكب الفرنسيين ووضعت البلونكو (الحصار)[٥].

ويوم ١١ جوان ١٨٢٧م رست الغليوطة La Torche بميناء الجزائر، وعلى متنها النقيب كولي Collet ،والسيد دوفال، وطلبا من الداي تقديم الاعتذارات عن سلوكه مع رفع العلم الفرنسي على حصون مدينة الجزائر، لكن الداي رفض فأعلنت فرنسا الحصار على السواحل الجزائرية يوم ١٥ جوان ١٨٢٧م، كما أعطت أوامر لوكيل الممتلكات الفرنسية بالقالة بالمغادرة ،وفي ٢٠ أوت ١٨٢٧م غادرت سفينة Le Volcan عنابة، وكان على متنها ٢٨ مسافرًا كما غادرت قبلها بيومين السفينة L'étincelle من ميناء عنابة تحت حمايتها ١٤٢ باخرة صيد مرجان جلبت من القالة.[٦]

وقد أمر حسين باشا بتحطيم المؤسسات الفرنسية[٧]، وأرسل الضابط سي الحفصي بن عون إلى القالة لمراقبة تنفيذ عملية الهدم بعد مراسلة بينه وبين داي قسنطينة الحاج أحمد باي، الذي كان كما قلنا سابقا بالجزائر لتقديم الدنوش وتلقي تعليمات من الباشا لتزويده بمعلومات عن مقاطعة قسنطينة خلال هذه المرحلة من العداء[٨]، وذكر أحمد باي أنه أرسل إلى الشيخ محمد بومطير[٩] فرس، وبندقية، وبرنوس هذا الأخير أخبره الماركانتي[١٠] بأن الرايس علي الفلوجي جاء من الجزائر وتعرض لمضايقة من الفرنسيين في عرض البحر برأس الحمراء (رأس الحراسة)، ففر إلى جهة جبل الإيدوغ ومن هناك أرسل رجلاً من البلاد إلى عنابة، فأرسلوا له مركبين مع جنود مسلحين وأعيد زورق الرايس إلى عنابة لإصلاحه، وتفقد الرايس علي بطاريات عنابة وطلب إجراء تصليحات للعربات ولواحقها.[١١]

١/٢-احتياطات أحمد باي حول عنابة خلال فترة الحصار البحري (١٨٢٧ – ١٨٣٠م)

وجه أحمد باي رسالة إلى سكان عنابة مؤرخة في ١٤ جوان ١٨٢٧م ضمنها تعليمة صارمة لمراقبة حركة السفن الحربية التي تقترب من الميناء، وهذه الرسالة ذات أهمية الكبيرة كتبت بعد فترة قصيرة من حادثة المروحة بين الداي حسين والقنصل دوفال، وهذه الرسالة لم ترد بها الشخصية الموجهة لها وهي تطبيق لتعليمات الداي التي وجهت إلى عنابة وتكون قد وجهت لكل المدن الساحلية.[١٢]

وأوردت المجلة الأفريقية Revue Africaine في عددها رقم ٤٣ لسنة ١٨٩٩م رسالة أحمد باي باللغة العربية، وبداها بتحية لأهل عنابة وشيخها، والآغا (قائد القوات)، والنوبجية (الحامية)، وأعيان المدينة، وأهلها من إنكشارية (الجنود

النظاميين)، ومالكية (الجنود الاحتياطيين)، والطوبجية (المدفعية)، مذكرًا إياهم بورود أمر من الداي بجب طاعته وتطبيقه بجد وهو السهر على حراسة جهة البحر ليلاً ونهارًا، والوقوف على حراسة الأماكن التي يخشى تسرب العدو منها[١٣].

عين الحاج أحمد باي عمار بن زقوطة حاكمًا على مدينة عنابة في منصب الماركاني، وأعطى تعليمات لقوات عنابة لمراقبة حركة سفن الحرب (بتاتيل- مراجنية بركاوات الزرقان)، والتي لا يخشى منها يسمحوا لها بالدخول، أما إذا رأوا سفينة قراصنة متجهة للمدينة يوجهوا إليها الأضواء، فإن لم تتوقف يرموا عليها بدون كور أو حجر، وإن تمادت وبلغت حد الرمي يرموا عليها الكور والحجر ويغرقونها ويهلكوها.

كما حذر أحمد باي من المساس بالفرنسيين بعنابة أو لمس أموالهم فعليهم آمان الله، وإن أرادوا الرحيل إلى بلدهم بطواعية فلهم ذلك، واشترط على مَنْ أراد الذهاب طواعية كتابة تعهد بأنه ذهب طواعية ولم يجبر، ومَنْ بقي فهو في أمان، وينطبق ذلك على بقية المسيحيين بعنابة[١٤] كما ألح أحمد باي على ديوان عنابة، وعسكرها، وأهلها بتشديد الحراسة متمنيا الخير لأهل المدينة، مذكرًا إياهم بعدم ترك الفرنسيين يأخذوا الجير والأجر والعمال من عنابة إلى القالة[١٥]. وكتب أحمد باي إلى الداي حسين يخبره بتطبيق تعليماته بحزم اتجاه أي سفينة تقترب من عنابة، كما أخبره بأن الخسورجية (الجنود الأصافيون) قد غادروا قسنطينة بعتادهم وتوجهوا نحو عنابة، وبأنه أمر أحد الموريسكيين لمراقبة الوضع بعنابة، وحالة الحراسة، وإصلاح الثغرات، وكلفه بإرسال نجارين محترفين من قسنطينة إلى عنابة للحاق بنجاريها لصنع خشب البنادق[١٦].

كما أرسل أحمد باي رسالة إلى الداي حسين يخبره فيها بأنه وصل إلى عنابة يوم ٢٨ جوان ١٨٢٧م، وتلقى رسالتين واحدة من علماء بونة، والثانية من ابن الماركاني الحاج المكي وأخبروه بأن باخرة وسفينة قراصنة فرنسيتين قد دخلتا إلى ميناء عنابة، وصعد على متنها الوكيل وممثلي الشركة ومواطنين ساكنين بعنابة، وقام سكان عنابة بغلق أبواب منازل هؤلاء وحراستها ليلاً عبر المدينة[١٧]. وفي رسالة أخرى من أحمد باي إلى الداي حسين بتاريخ ٢١ جويلية ١٨٢٧م، أورد فيها بأنه كتب إلى الماركاني بعنابة بخصوص أي سفينة حربية فرنسية أن يسارع إلى قدفها بالكرات، كما وجه أوامر إلى الخليفة ليتكفل هو ورجاله قرب عنابة لمراقبة وضعية المدينة والاستعداد للدفاع عنها ومتابعة ما يجري يعلمه فيها ليل نهار[١٨].

كما وجه أحمد باي رسالة إلى الداي حسين يعلمه فيها بأن سكان عنابة رأوا في ماي ١٨٣٠م سفن تطل ثم تختفي، فأمدهم بمئة بندقية[١٩]، وأورد النقيب ميترو (**Capitaine Maitrot**) في مؤلفه بونة العسكرية **Bône Militaire** بأن أحمد باي أرسل الخيسورجية (جنود الاحتياط) من قسنطينة إلى عنابة) مزودين بالخيم، والمؤونة، والماء، وأمر الماركانتي أن يوفر لهم كل حاجياتهم واستخلص أحمد باي من هذا الأخير المعطيات وأخبر بها الداي بأن كل شيء هادئ ومرتب بعنابة وضواحيها سواء على الأرض أو في البحر. وكانت حامية عنابة مكونة من مساعدين (احتياطيين) غير محدد عددهم، ورماة، وخمس بطاريات تدافع عن مكان الرسو، وبين ١٨ و٢٠ مدفعًا بحصن جنوة، والحامية (النوبة) وتضم ٧١ إنكشاريًا تحت قيادة الأغا[٢٠].

ثانيًا: أهمية مدينة عنابة وأوضاعها عشية الاحتلال الفرنسي

عند دخول الفرنسيين إلى إفريقيا، لم تكن عنابة فقط ميناء رئيس للمقاطعة وإنما كذلك كانت غنية بمواردها الداخلية كالجلود، والصوف، وخاصةً الحبوب، اعتبرتها فرنسا مفتاحًا وإحدى أبواب بايليك الشرق الجزائري، وكان احتلال هذه المدينة يكتسي أهمية بالغة من وجهة نظر التوسع المستقبلي، والسيطرة على مقاطعة قسنطينة[٢١]، ويعتبر ميناء عنابة أهم ميناء على الساحل الشرقي لموقعه الجغرافي المتصل بمنطقة غنيه وأهميته الاستراتيجية على ساحل رائع يحتوي على المرجان ويمكن من العبور نحو قسنطينة،[٢٢] فقد كانت لفرنسا مصالح تجارية بعنابة، والقالة كما كان للفرنسيين معرفة بسكان المنطقة وعاداتهم، ولكن نفوذهم تقلص خلال فترة الحصار (١٨٢٧م-١٨٣٠م)، ولذلك لا نستغرب سعي الفرنسيين لاحتلال مدينة عنابة فهي نقطة استراتيجية، وهي الميناء الرئيس لإقليم قسنطينة، كما تمثل عنابة بوابة الجزائر من الشرق حيث مضيق تونس وصقلية الذي يمكن أن تأتي منه قوات تركية لضرب القوات الفرنسية[٢٣].

وحسب بوياك **Boyac** فالفرنسيون كانت لهم علاقات طويلة مع سكان عنابة منذ وجود المحطات بالقالة، وكانت لهم مصلحة من التجارة التي كانوا يمارسونها والأرباح التي كانوا يجنونها من المحطة التجارية، وحتى تسيطر حكومة البايليك على التجارة عينت وكيل يسمى الماركانتي، اكتسب سلطة قريبة من سلطة حاكم عنابة التي كان عدد سكانها عام ١٨٣٠م بالكاد يقارب بـ ١٥٠٠ نسمة[٢٤].

أما بالنسبة لأحمد باي فقد أغرته خيرات المدينة، وأحوازها، وتجارتها، فأرسل عام ١٨٣٠م أحد أعوان "الماركانتي" بن زقوطة لإحصاء مداخيل ومخروجات الميناء من كل أنواع التجارة، كما أرسل أحمد باي شخص آخر لقيادة المدينة لكن لجنة كانت بصدد التشكل من أعيان المدينة، وهم سي زروق بن سيدي الشيخ، سي أحمد بن سيدي الشيخ، القاضي سي حساين، والقايد السابق سي رجم بن ربيعة (راضية) وقد رفضوا هذا التعيين فحدثت القطيعة مع أحمد باي[٢٥] فرغبة سكان عنابة كانت استعادة حرية التجارة، وتقويض سلطة أحمد باي، فانتظروا سقوط الأتراك بالعاصمة ليعلنوا استقلالهم، وقبل أيام من وصول الفرنسين جاء وكيل للباي (عمار بن زقوطة) لأخذ قيادة المدينة، لكن اللجنة السالفة الذكر رفضت استقباله ورفضت طلبه بخصوص تسليم البارود[٢٦]، فقد كانت مدينة عنابة تعيش ثورة داخلية معارضة للحكم التركي بقيادة الشخصيات الأربعة يساعدهم ديوان، وقد طردوا الحاج عمار بن زقوطة وابنه الحاج المكي بسبب الغش التجاري وتكوين ميليشيا، كما قرر السكان عدم إرسال ذخائر حربية لأحمد باي، وأعلن ديوان الترك استقلال المدينة عن حكم قسنطينة، وذكر حمدان خوجة أن وفدا عنهم قد ذهب إلى الجزائر لطلب النجدة من الفرنسين وهو ما سهل على قادة الحملة الأولى ١٨٣٠ الدخول إلى المدينة الضعيفة بصراعاتها[٢٧].

ثالثًا: الحملات الفرنسية لإخضاع مدينة عنابة (١٨٣٠-١٨٣٢م)

٣/١-الحملة الأولى ١٨٣٠ وانسحابها المفاجئ

تمكنت فرنسا في ٠٥ جويلية ١٨٣٠م من فتح أبواب الجزائر تحت قيادة الماريشال دي بورمون **De Bourmont**[٢٨]، بعد ثلاثة قرون كما يسميها بوياك **Boyac** من القرصنة ضد العالم المسيحي،[٢٩] وكان على فرنسا احتلال الموانئ الهامة للإيالات، وبمجرد نجاح الحملة بدأت الحكومة الفرنسية تفكر لاستعادة مصائد المرجان، والمحطتين التجاريتين بالقالة، وعنابة اللتين حطمتا خلال فترة القطيعة بين آيالة الجزائر وفرنسا[٣٠]. فمشروعات دي بورمون هي الاحتلال الكلي، لا سيما المدن الساحلية التي أثارت اهتمامه، فقد وجه في شهر جويلية ١٨٣٠ دوبيري **Dupérré** سفينة **L'écho** **La corvette** إلى مياه عنابة بقيادة السيد قرايب **Graeb** وعلى متنها عدد من سكان عنابة الذين كانوا بالجزائر أيام الاحتلال، وبرفقتهم بعض النبلاء، وكذلك السيد رومبرت **Rambert**[٣١] الوكيل القديم للممتلكات الفرنسية بأفريقيا، وكان يحمل بيان من دي بورمون مترجم إلى العربية، ومهمة رومبرت هي جس نبض سكان عنابة، وتحضير استقبال هادئ للحملة[٣٢]، فقد عاش رومبرت فترة طويلة بعنابة، وله دراية كبيرة بعادات ولغة البلاد، مما سمح له بتقديم معلومات دقيقة ساعدت القادة العسكريين على احتلال عنابة[٣٣].

تلقى الكونت دامريمون **Damrémont**[٣٤] أمر من دي بورمون يوم ٢٦ جويلية ١٨٣٠م لتوجيه حملة بحرية إلى عنابة، قوامها سبعة سفن على متنها ٤٥٠٠ رجل، ومعدات المدفعية بقيادة دامريمون[٣٥] لكن المؤرخ الفرنسي بوياك **Boyac** ذكر أن أمر الحملة أعطاه الأميرال روزاميل **Rosamel**، وخرجت الحملة يوم ٢٦ جويلية ١٨٣٠م وكانت مكونة من ثمانية سفن وهي:

Le sevur, La Guerier, la surveillante, le trédent, l'action, le superb, le volca

وسفينة بريك عليها عشرين مدفعًا، وهذه السفن تحمل فوجين من المشاة وهما الفوج (٦) و (٤٩) يشكلان قوة من ٢٥٠٠ رجل، وفرقة للهندسة، وبطارية ميدانية[٣٦]، وصلت الحملة إلى عنابة في يوم ٠٢ أوت ١٨٣٠م، وتقدمت العمارة الخفيفة التي كان على متنها رومبرت وكان له أنصار بالمدينة، ومن السهل عليه التواصل مع السكان[٣٧]، وكانت المدينة تعيش على وقع الفوضى ضد سلطة أحمد باي، وانقسام السكان بين فئة الأتراك الذين كانوا أقلية، ويسيطرون على القصبة، ويسكنون أعلى المدينة للتحكم في البحر، والعرب يسكنون أسفل المدينة، وحي سيدي عبرا يقطنه اليهود[٣٨].

واستقبل بعض السكان وبينهم الوكيل (رومبرت إ) الجنود بالأطعمة الطازجة، وسارع دامريمون إلى احتلال الأماكن الرئيسة، ووضع بالقصبة الفيلق السادس، أما الفيلقين الثاني والتاسع والأربعون فكلف بحراسة السهل الممتد إلى واد بجيمة[٣٩]، كما شرع دامريمون في تعزيز الدفاعات ضد هجمات العرب، محاولا ربط اتصالات مع القبائل المجاورة[٤٠] دون جدوى لكرهها للمسيحيين أو خوفًا من أحمد باي، كما أن السكان غير متقبلين لديانة أخرى غير ديانتهم الإسلام[٤١].

شكلت هجمات العرب خطرًا على الحامية الضعيفة لدرجة صعودهم الأسوار لمواجهة المدفعيين جسدًا لجسد، وبعد خروج لقواته استطاع دامريمون إرجاعهم بنجاح، واستغل هذا التراجع للاهتمام بالإدارة، وشكل مجلس النبلاء ليكون الوسيط بين الأهالي[٤٢]، وفي ٠٣ أوت ١٨٣٠م سادت حالة من الفوضى بالمدينة، وقيام مظاهرات قام بها المالكيين العرب (الجنود الاحتياطيين)، بينما حاول جماعة الديوان إظهار التحكم

في الوضع ودفع الناس نحو المساجد، أما الفرنسيون فقد سيطروا على القصبة، والحصون، وشكلوا مخيم خشبي أمام باب الربح[٤٣]، وبدأت القبائل من يوم ٠٣ أوت تحمل السلاح، ورجالهم يقتربون من أسوار المدينة، وحتى يظهر الجنرال دامريمون عدم الخوف أمر قواته بخرجة نحو آثار هيبون التي كانت مأوى طبيعي لرجال القبائل[٤٤].

وفي صبيحة ٦ أوت ١٨٣٠م تقدمت فرقة وتمكنت من تسلق التلة، وأوقعت المقاومين العرب في كمين، الذين أظهروا مقاومة، ومات في هذه المعركة أربعة جنود من الفيلق السادس[٤٥]. وفي يوم ٧ أوت ١٨٣٠م تعززت قوات المقاومين، وناوشوا الفرنسيين وهجموا عليهم لكن الضباط والجنود الفرنسيين احتموا بمواقعهم وكبدوا الجزائريين خسائر فادحة[٤٦]، وقد بدأ الإحباط يتسرب إلى صفوف المهاجمين إلى أن ظهر شيخ القالة بن تميم ومعه قوات كبيرة، وفي الحادية عشرة من اليوم نفسه قام العرب بهجومات قوية ووصلوا إلى معاقل الفرنسيين رغم طلقات المدفعية، وأظهروا شجاعة كبيرة، ولم ينسحبوا إلا بعد معركة شرسة جرح فيها قائد المدفعية فوكود **Faucoud** جروح بليغة. ويوم ١٠ اوت ١٨٣٠م وقع هجوم كبير ضد معاقل الفرنسيين، وقتل منهم إثنين وبترت يد نقيب الهندسة أوسيي **Oussier**[٤٧].

وفي منتصف ليلة ١١ أوت ١٨٣٠م تسلل المقاومون عبر الأشجار، وهاجموا الفرنسيين مطلقين صيحات قوية (الله أكبر) مصحوبة بإطلاق النار من مسافات قريبة ووصل بعضهم إلى خنادق الفرنسيين، وقتلوا بالحراب، وخسروا المعركة وتركوا ورائهم ٨٦ قتيل (شهيدًا)، وقتل في هذه المعركة زوج أخت أحمد باي[٤٨]، وخسر الفرنسيون جنديين مدفعين ورقيب من الفيلق ٤٩ ورقيب من الفيلق السادس[٤٩].

كانت فرقة دامريمون على وشك تحقيق النصر، لكن جاءه أمر بالعودة إلى الجزائر، فقد وصلت عمارة يوم ١١ اوت ١٨٣٠ من مرسيليا تحمل خبر سقوط شارل العاشر[٥٠]، وهذا بسبب أحداث شهر جويلية بفرنسا فكان إخلاء عنابة حتميًا[٥١]، وحتى يذيع صيته بين السكان ترك لهم كمية كبيرة من الذخائر، والأغذية، وجهز قواته للعودة في حين عادت سرية روزاميل من طرابلس ورست بمياه عنابة، ولكن اضطراب البحر أخر الإبحار إلى يوم ٢٠ أوت ١٨٣٠[٥٢]، وقد تشجع العرب بهذا الانسحاب واحتلوا مواقع الفرنسيين واستخدموها لإطلاق النار عليهم، وقاوم سكان مدينة عنابة قوات باي قسنطينة التي حاولت أن تحتل المدينة وحاصرتها بشدة[٥٣]، وقد حلت قوات عنابة بالجزائر يوم ٢٥ أوت ١٨٣٠[٥٤]. حيث بعث دي بورمون ببرقية إلى وزارة الحربية يوم ١٥ أوت ١٨٣٠م جاء فيها "تلقيت أحداث التي كانت باريس مسرحًا لها الأشياء يمكن أن تتغير في لحظة في وجه جيش الاحتلال الأعمال العدائية التي بدأتها السرايا الإنجليزية في البحر جعلت الوضع حرج للغاية بالنسبة لجيشنا بعنابة ووهران جعلني أستدعيهم[٥٥].

٣/٢-الحملة الثانية ١٨٣١ ونكسة الفرنسيين

بعد إخلاء عنابة في أوت ١٨٣٠م هاجمتها القبائل المجاورة عدة مرات، وكان بقصبة المدينة حوالي مئة تركي في وقت أعلن أحمد باي الحصار على المدينة، وأصبح سكانها يعانون من نقص الغذاء، والمجاعة[٥٦]، فقد عزم أحمد باي الانتقام من خيانة سكان المدينة، وجمع قواته التي يقودها عمار بن زقوطة[٥٧] الذي تمركز على الضفة اليسرى لواد سيبوس، وراسل القبائل لتجميع المقاتلين، واستمر سكان عنابة يتزودون لعدة أشهر عبر أودية واد القبة، وواد بوقراط، ولما تجمع الرجال قام عمار بن زقوطة لمهاجمة المدينة لكن بطاريات القصبة منعته، واستمر الحصار لعدة شهور، ونقصت المعاشات[٥٨] فحاول سكان مدينة عنابة القيام بهجومات ضد بن زقوطة لكن تم إرجاعهم بل وصلت قوات الباي إلى أسوار المدينة التي حاول بن زقوطة تلغيمها لكن لم ينجح بسبب نيران مدفعية القصبة[٥٩].

غادر دي بورمون وخلفه كلوزيل **Clauzel**[٦٠] يوم ٧ اوت ١٨٣٠م، ووجه حملات عسكرية إلى البليدة، والمدية، ثم وجه أنظاره إلى إقليم الشرق الجزائري وحاكمه أحمد باي الذي رفض الاستسلام فقام كلوزيل بتوجيه من ديلسبس **Delesspse** قنصل فرنسا بتونس بعقد اتفاقية مع باي تونس لوضع إقليم قسنطينة تحت سلطة ابن أخيه سيدي مصطفى باي مقابل دفع باي تونس مليون فرنك سنويا لفرنسا[٦١]. وكان هذا العزل لأحمد باي بمرسوم صدر في ١٥ ديسمبر١٨٣٠م، وأكد بمرسوم آخر يوم ١٨ ديسمبر ١٨٣٠م، ولكن من الصعب على الباي الجديد سيدي مصطفى الوصول إلى قسنطينة خاصةً أن أحمد باي كان يلح على استعادة عنابة، وهذه الاتفاقية لم تجسد من طرف الحكومة الفرنسية بسبب معارضة وزير خارجية فرنسا سيبستياني **Sibastiani** لعدم استشارته من الماريشال كلوزيل الذي عاد إلى فرنسا يوم ٢١ فيفري ١٨٣١ واستبدل بالجنرال بيرتزين **Bertezen**[٦٢].

وفي هذه الفترة كانت سفينة **le Brik de Grenadie** تمر قرب عنابة، وكان قائدها هودير **Houder**[٦٣] وهي عائدة من تونس فتوجه إليها ستة من نبلاء المدينة لطلب مساعدات

غذائية كما طلبوا منه مساعدات عسكرية بفرقة من الزواف[٦٤]، فوعدهم بطرح القضية على قائد القوات[٦٥]، وبعد وصوله إلى الجزائر اتصل هودير بالقائد العام بيرتزين وأطلعه على الأوضاع بعنابة وكان هذا الأخير متحفظًا من إرسال قوة عسكرية لكن مراسلة مستعجلة من سكان عنابة حذرت من سقوط المدينة بيد أحمد باي أزالت تحفظه[٦٦]، فجهز فرقة من الفيلق الأول للزواف مكونة من أربعة ضباط، وثمانية صف ضباط، وخمسة وعشرون زوافا يحمل كل واحد ١٥٠ خرطوشة، وصعدت هذه القوات على متن سفينتي **La creole** و **la donis** وكانتا معبئتين بكميات كبيرة من المؤن، ومئة بندقية، وستين بذلة موجهة للسكان ممن يريدون الانخراط في الجيش الفرنسي.

كانت فرقة الزواف مكونة من ضابط قديم في الهندسة وهو النقيب بيقو **Bigot**، أما القيادة العامة فكانت للقائد هودير، وخرجت الحملة يوم ٠٩ سبتمبر ١٨٣١م[٦٧]، ووصلت إلى عنابة يوم ١٣ سبتمبر ١٨٣١م، وكان الفرنسيون يأملون في إخلاص السكان واحتلال المدينة دون نفقات ودماء، ومن جهة ثانية تسريع المفاوضات مع أحمد باي عن طريق أحد الأعوان في تونس[٦٨]. ونزلت القوات الفرنسية في ظروف غير التي كان يأملها الفرنسيون، فقد اشترط السكان بقاء الرايات في المرفأ، وأن يحتل الزواف المسلمين القصبة إلى جانب الأتراك، فالسكان كانوا يبحثون عن الدعم وليس عن أسياد، وتنازل النقيب وأخذت القوات أماكنها في القصبة تمركز أربعون جنديًا وبالمدينة خمسة وسبعون. وفي هذه الظروف وصل إلى المدينة باي سابق لقسنطينة وهو إبراهيم القريتي[٦٩]، الذي كان يعرف القائد هودير بالقسطنطينية[٧٠]، وقد أثار نبلاء المدينة، وسي أحمد بن الشيخ انزعاج الفرنسيين وحفيظة القائد هودير، فقد كان هؤلاء يرون أن السلطة تسحب من أيديهم فسعوا إلى تحريض السكان، وقبائل الجبال للهجوم على عنابة كما غاب عن القائد هودير أن سي أحمد بن الشيخ قد كتب رسالة إلى أحمد باي يبدي استعداده للتمرد على الأتراك والفرنسيين[٧١].

فمدينة عنابة كانت تشهد صراعًا حقيقيًا بين أعيان المدينة، وعلى رأسهم سي أحمد بن الشيخ مستغلاً نفوذه الديني لتجنيد أنصاره ضد السيطرة الفرنسية، وإبراهيم باي الذي تظاهر بخدمة القائد هودير، لكن كان ينتظر الفرصة المناسبة للاستيلاء على القصبة[٧٢]، كما شعر هودير بالحاجة للسيطرة على القصبة وأعتقد بعد مفاوضات مع إبراهيم أنه سيحقق ذلك، لكن إبراهيم باي كان يخطط لمؤامرة فقد زاد من عدد الزواف بالقصبة، ولما لاحظ بعض التراخي بين الفرنسيين استغل الفرصة يوم ٢٦ سبتمبر ١٨٣١م، وصعد للقصبة وأغرى الزواف بالمال، وكذلك الأتراك، وأغلق الأبواب، ورفع علم المسلمين وحياه بثلاث طلقات مدافع[٧٣]، وأحاط وجنوده ببعض الجنود الفرنسيين وأدخلوهم زنزانة، ولما جاء النقيب بيقو ليدخل القصبة وجد الباب مغلقًا فسارع لإخبار هودير الذي حمل السلاح وصعد إلى القصبة فأطلق إبراهيم النار عليه فرد بطلقات نارية[٧٤].

وبتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٣١م جاءت القبائل وهاجمت الأبواب، وقتل النقيب بيقو بطلقتي مسدس، كما أطلقت المدفعية النار على السفينتين **La creole** –**La donis** بالميناء، وخلال التراجع الفوضوي للقوات الفرنسية قتل القائد هودير بطلقة قاتلة وهو يضع رجله للصعود في إحدى القوارب[٧٥]، كما خسر الفرنسيون سبعون رجلا وتسعة بحارة وجرح إثنين وثلاثون، وقد وصلت من الجزائر سفينتين وهما: **La cygne** و **La voltigeur** وعلى متنهما ٢٤٠ زوافا تحت قيادة دوفيفي **Duvivier**[٧٦] الذي حاول القيام بغارة ضد القصبة لكن لم يجد الحماس، وعادت العمارات الأربعة يوم ١١ أكتوبر ١٨٣١م بما بقي من حملة هودير من رجال وعددهم ٤٠ رجلاً وضابطين و ستة صف ضباط.[٧٧]

قبل مغادرة القوات الفرنسية حضر ممثلين عن سكان عنابة إلى سطح **La creole** للاعتذار، وسافر ثلاثة من نبلاء المدينة إلى الجزائر كمندوبين لتبرير ما حدث،[٧٨] فكان لهذه الحملة صدى كبيرا في فرنسا، وحملت المسؤولية لبرتزين الذي سيخلفه القائد سفاري دو روفيغو **Savary duc Rovigo**[٧٩] الذي جاء إلى الجزائر في مهمة محددة وهي توقيع اتفاق مع أحمد باي ليقبل بالسيادة الفرنسية ويتخلى عن المطالبة بعنابة[٨٠].

٣/٣-الحملة الثالثة ١٨٣٢م واحتلال مدينة عنابة

بعد فشل حملة القائد هودير، ونكسة الفرنسيين نصب إبراهيم باي نفسه زعيما للقصبة وللمدينة، وكان يثق أكثر في الأتراك الهاربين من قسنطينة بينما قلت ثقته بالسكان ففرض عليهم ضرائب من كل الأنواع ، وقرر مهاجمة جيش عمار بن زقوطة فوقعت بينهما معركة يوم ٠٥ جانفي ١٨٣٢م دامت يومين ولم تكن حاسمة للطرفين ،لكن أحمد باي اعتبرها هزيمة وتخلص من بن زقوطة وعين مكانه الباشا حامبا بن عيسى الذي عسكر قرب عنابة ب ١٨٠٠ رجل بواد الذهب **Ruisseau D'or** ، وشدد الحصار على المدينة وأغلق الميناء، كما وجه رسالة إلى سكان عنابة يطلب منهم الدخول في طاعة أحمد باي. دام

الحصار ستة شهور من سبتمبر ١٨٣١م إلى فيفري ١٨٣٢م سبب لسكان عنابة المجاعة، وفي ظل هذه الظروف فر ثلاثة وجهاء من المدينة والتحقوا بالجزائر حيث التقوا بالجنرال دورفيغو مستنجدين به وطالبين الصفح عن واقعة القائد هودير[٨١]، وأخبرهم القائد العام بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بعد تأكيد خضوعهم واستسلامهم[٨٢].

كلف دي روفيغو النقيب يوسف[٨٣] قائد الصيادين الجزائريين القيام بمهمة الاستطلاع إلى عنابة، فأبحرت سفينة **La Béarnaise**[٨٤] يوم ٢ فيفري ١٨٣٢م من الجزائر ووصلت إلى عنابة يوم ٨ فيفري ١٨٣٢م،[٨٥] وكان على متن السفينة الاستطلاعية شخصيات من المدينة أبرزهم مصطفى بن كريم وثلاثة تجار، ولقد رست السفينة يوم ٨ فيفري ١٨٣٢م بقصر العين **Casa raine**، وحضر مبعوثين من إبراهيم باي، ونزل يوسف وصعد إلى القصبة لمقابلة الباي رغم تحفظ فريارت **Freart**[٨٦] واستقبله إبراهيم بحفاوة وقرأ رسالة الحاكم العام[٨٧].

بعد مفاوضات صعبة مع إبراهيم باي عاد يوسف إلى الجزائر يوم ١٠ فيفري ١٨٣٢م ومعه رسالتين إلى القائد العام، واحدة من إبراهيم باي، والثانية من نبلاء المدينة، ألحوا فيهما على طلب التموين للمدينة التي شارف سكانها على الموت جوعًا، كما وضح يوسف لدي روفيغو الوضعية السيئة للمدينة، والخوف من تسليم الإخوة بن الشيخ المدينة لبن عيسي، وكان دي رو فيغو مدرك لأهمية احتلال المدينة لكن ليس له القوات اللازمة لتجهيز حملة عسكرية، وكان يرى قبل توجيه الحملة إرسال المؤونة للسكان، ورفع معنوياتهم، ووضع نصب عينيه النقيب دارمندي[٨٨]. وقد وجه تريزل **Trézel** تعليمات شفوية لدارماندي قائلاً: "امعنوا احتلال المدينة قبل شهر أو ستة أسابيع سأرسل لك القوات للدفاع عنها أو سفينة لدعمك " وكان يوسف مساعدًا لدارمندي مكلف بعد وصول الحملة إلى عنابة بمواصلة طريقه نحو تونس لشراء الخيول[٨٩].

غادر النقيب دارمندي، ويوسف الجزائر على متن سفينة **La Gouelet** يوم ٢٣ فيفري ١٨٣٢م ومعها سفينة **La Bearnaise** تجر خلفها سفينة **La Cassauba** المحملة ب ٣٠,٠٠٠ وجبة غذائية من بسكويت، وفرينة، وأرز، وقائد هذه الأخيرة هو الرايس محمد وقد رست السفن يوم ٢٨ فيفري ١٨٣٢م ونزلا دارمندي، ويوسف ومساعديهم، واستقبلهم جمع من السكان وثمانين تركيًا قدموا لهم عرضًا للفنطازية، وصعد دارمندي، وقواته إلى القصبة واستقبلهم إبراهيم وقدم القنصل دارمندي رسالة الدوق دوروفيغو لإبراهيم قرأها القاضي بصوت مرتفع[٩٠].

دامت المقابلة ساعة من الزمن ثم رافق الباي القنصل ومساعديه نحو المدينة البائسة، وقد عين منزل للقنصل دارمندي مطل على البحر، ونوافذه على الأسوار[٩١]، وبعدها باشر دارمندي مفاوضات مع إبراهيم باي لوضع القصبة بيد الفرنسيين، لكن هذا الأخير كان يريد ربح الوقت وتموين حصنه، وتعقدت الوضعية بغزو بن عيسى ملازم أحمد باي للمدينة[٩٢]؛ ففي ليلة ٤ مارس ١٨٣٢م دخل عرب قسنطينة إلى المدينة ليلاً عبر باب مجاور لمسجد أبي مروان بمساعدة وتوجيه من المفتي والإخوة بن الشيخ، وتوجهوا لفتح باب قسنطينة وهم يصيحون "باركوا السيد بن محمد لأنه طيب القلب الجنرال بن عيسى جاء ليخرجكم من استبداد الخائن إبراهيم، وكانت سياسة بن عيسى هي جعل السكان يلتفون حول أحمد باي، لذلك رددت دوريات بن عيسى "أمنوا الله أمنوا رسول الله الحاج أحمد وعد بمساعدة وحماية كل أبنائه بعنابة مهما كانت أصولهم".[٩٣]

وبعد توغل بن عيسى وجد السكان في حالة من الجوع ووزع الأغذية على السكان وكانت صبيحة هذا اليوم هو عيد الأضحى ما جعل السكان يبتهجون[٩٤]، وفي هذه الأوقات فر دارمندي ورفاقه الثلاثة وبعض المور عبر النافذة مستعملين حبلا، وفي ٠٥ مارس ١٨٣٢م وصل إلى سفينة دارمندي قارب يحمل المفتي والقاضي، وقائد خيالة قسنطينة علي آغا واعتذروا عما حدث وطلبوا من دارمندي التوجه إلى بن عيسى للتفاوض فذهب إليه ووجده عند جسر مبعوجة وتوجها الإثنين إلى ضريح المرابط "سيدي إبراهيم بن تومي"، وبعد نقاش طويل وحاد أقنع دارمندي بن عيسى بتأخير الهجوم على القصبة إلى غاية وصول جواب الحاكم العام، وبعد نهاية اللقاء عاد دارمندي إلى القصبة أين وجد إبراهيم باي في وضعية حرجة. في ٠٧ مارس ١٨٣٢م جاء قارب يحمل رسالة من بن عيسى إلى الحاكم العام دوروفيغو، أخذتها سفينة **La Cassauba** نحو القالة ثم نقلت إلى النقيب فريارت بتونس لأخذها إلى الجزائر خلال عودته[٩٥].

وفي ١٤ مارس ١٨٣٢م تلقى النقيب فريارت بتونس رسالة من النقيب دارمندي، أخبره فيها بأن مدينة عنابة احتلها بن عيسى، وأنه هو ورفاقه الثلاثة فروا نحو سفينة **La Cassauba** ووضعيتهم حرجة ويطلبون عودة سفينة **La Béarnaise** إلى عنابة فأبحرت السفينة في جو مضطرب، ووصلت يوم ٢٦ مارس ١٨٣٢م صباحا إلى خليج عنابة[٩٦]؛ وجد يوسف دارمندي بمياه عنابة فطلب دارمندي من النقيب فريارت

تزويده بثلاثين بحارا ووجد تجاوبًا وحماسًا من ضباط السفينة، واختار أربعة وعشرون بحارًا مسلحين باثني عشر بندقية واثنى عشر سيفًا[٩٧] وفي زوال ٢٦ مارس ١٨٣٢م ذهب دارمندي إلى بن عيسى ودار بينهما حوار مطول، حاول فيه دارمندي إقناع بن عيسى تمديد حالة الهدنة إلى غاية وصول جواب القائد العام، ولكن بن عيسى اعتبر الأمر تضيعًا للوقت، وهدد بشن الهجوم على المدينة في اليوم الموالي، وأخبره دارمندي أنه في حالة هجومه سينسحب بعيدًا عن ميناء عنابة، فقال له بن عيسى افعل ما تريد سنحصل على القصبة في يومين بالقوة إذا لم تسلموها غدا بالاستسلام[٩٨].

في مساء ٢٦ مارس ١٨٣٢م صعدا دارمندي ويوسف إلى الحصن، وعرض دارمندي على إبراهيم لقائه مع بن عيسى وذكره بوعده تسليم القصبة لفرنسا، لكن إبراهيم رفض وثار قائلاً له: "غير ناضج مسيحي هل أكون جبان وأسلم قلعتي إلى الكفار وأكون تحت أوامرك" فصرخ دارمندي قائلاً: "جبان أنت تستحق المخرج الذي ينتظرك سأتركك لوجهتك"[٩٩]. علم الفرنسيون بسفينة **La Cassauba** صباح ٢٧ مارس ١٨٣٢م أن إبراهيم باي أطلق النار على رجاله، وهؤلاء قبضوا عليه، فطلب يوسف الإذن للصعود إلى القصبة لمعرفة ما يحدث[١٠٠]، وقد فر إبراهيم باي ليلة ٢٧ مارس ١٨٢٧م سرًا نحو جبال الإيدوغ، ولجأ إلى المرابط بومعيزة، ولما علم جنود الحامية دخلوا في نقاش حاد حول إمكانية الاستسلام لبن عيسى عوض قبول عرض الفرنسيين، لكن الأتراك عارضوا بشدة، وأرسلوا أحدهم إلى سفينة **La Béarnaise** لإخبار النقيبين حول ما يجري فصعدا إلى القصبة ووجه يوسف كلامه إلى الحامية قائلاً: "قرروا ليس لكم وقت أكبر لتضييعه، هل تريدون فتح أبوابكم ل بن عيسى الذي لا تثقون فيه، أو ترغبون أحسن في التعامل مع الفرنسيين أصدقائكم الوحيدون والذين سيحمونكم". لم ينتظر يوسف واقترب من فتحة مطلة على البحر، ووضع فيها مسحوق مشع وهي الإشارة المتفق عليها هو ودارمندي لإعلان نجاح الخطة[١٠١]، وكانت سفينة **La Béarnaise** قد اقتربت من الشاطئ صخرة الأسد وأنزلت القوات التي ستدخل الحصن وكانت الفرقة مكونة من:

- النقيب دارمندي قائدًا.
- الملازم دوفريقات دي قويدك (**De Gouedic**).
- تلميذ القسم الأول كورنولييز لوسونيير (**Cournulier-lucinier**).
- الماريشال كولومب (**Colombe**).
- الماريشال شاني (**Chany**).
- ٢٤ بحارًا.
- طفل طبال[١٠٢].

نزلت هذه القوة شمال صخرة الأسد، وواجهتها صعوبات عند صعود المرتفعات ذات الحشائش الطويلة، ولما وصلوا تحت الأسوار وجدوا يوسف ينزل بحبل فصعد به أفراد الفرقة إلى الحصن، وحضر قادة القصبة لإعلان خضوعهم وهم حسين باشاوش الأتراك، القايد عمر، إبراهيم آغا، وكليب عمر باشاوش الطوبجية (المدفعية) وتوجه لهم يوسف قائلا: "المسلمون في هذا الخطر الذي أنتم فيه جئتم لطلب الفرنسيين لمساعدتكم ساعدتكم في الخروج من المشاكل انطلاقًا من هذه اللحظة أنتم مجندوا فرنسا وإذا لم يكن واحدا منكم غير مرتاح سأقطع رأسه"[١٠٣]. بعد أن علم بن عيسى بسيطرة الفرنسيين على القصبة بعث برسالة إلى دارمندي جاء فيها: "قنصل لقد خدعتني عندما وضعت ثقتي فيك لكن بعون الله أتمنى قريبا أن تندم" وكان جواب دارمندي "لم أخدعك لأني لم أعدك بشيء لقد قمت بمجهودي حتى لا تبتعد عني ونواصل علاقتنا الحسنة وهذا ما أنا حاضر للقيام به دائمًا"[١٠٤].

حاول بن عيسى لاختراق القصبة دون جدوى، رفع معسكره وتخلى عن المدينة ففي ٢٨ مارس ١٨٣٢م خرجت قوات بن عيسى محملة بالمواشي، وفي الغد شوهد سكان عنابة وهم يبتعدون عن المدينة التي أصبحت بيد الفرنسيين[١٠٥]. في ١٥ ماي ١٨٣٢م نزل بعنابة الجنرال دوزر **D'uzer**[١٠٦] قائد للقوات بها، أما دارمندي فشغل مهنة نائب متصرف إداري **sous-intendant** وقد جلب دوزر معه عدة كتائب، وكتب دوزر ما ملخصه: "إن مهمة الفرنسيين هي شريفة وهي الإتيان بالحضارة لأفارقة عنابة واحترام ملكياتهم، وأعرافهم، وعاداتهم، ودينهم ولسنا منبهرين بأن نبين لهم بأننا الأقوى ولكن بأننا عادلين وبهذه الأدوات مجتمعة سيحترمون ويحبون فرنسا"[١٠٧]، أما النقيب يوسف فقد رقي إلى قائد فرقة الخيالة الشرفية **légion d'honneur**[١٠٨].

بقي إبراهيم ينتقل من قبيلة إلى قبيلة أخرى لخوض الثورة ضد الفرنسيين، واستعان بأحد المرابطين وجمع بين أربعة آلاف وخمسة آلاف رجل وهجم على مدينة عنابة يوم ٢٢ أوت ١٨٣٢م، ثم انتقل إلى حواف بحيرة فزارة على بعد خمسة محطات عن عنابة، وجمع بين ١٢٠٠ و١٥٠٠ رجل وجاء تحت أسوار المدينة يوم ٠٨ سبتمبر١٨٣٢م، وقام بنهب الحقول، وخرجت قوات يوسف

واشتبكت مع قواته وقتلت ٢٠ رجلاً وخسر الفرنسيون أربعة أو خمسة جنود وكانت هذه المعركة آخر معركة لإبراهيم تحت أسوار المدينة[١٠٩].

خَاتِمَةٌ

إن البحث في تاريخ التوسع الفرنسي مازال يحتاج إلى مزيد من الدراسات، والأبحاث قصد الإلمام باستراتيجية الاستعمار الفرنسي وسياسته التوسعية في الجزائر، وهذا يتأتئ بتوسيع مجال البحث، وتقصي الحقائق، بالاعتماد على الوثائق الأرشيفية والدراسات الجادة الموضوعية سواء لمؤلفين فرنسيين أو جزائريين وأجانب.

ومن خلال هذه الدراسة المتعلقة باحتلال مدينة عنابة بين الفترة ١٨٣٠م ١٨٣٢م توصلت إلى النتائج التالية:

- إن العلاقات بين الجزائر وفرنسا كانت تشوبها توترات، وعرفت مدًا وجزرًا لكن قضية الديون وتحصينات القالة عجلت في تدهورها فكانت حادثة المروحة ٢٩ أفريل ١٨٢٧م بمثابة آخر مسمار في نعش هذه العلاقات.
- إن إعلان فرنسا للحصار على الجزائر بتاريخ ١٥ جوان ١٨٢٧م دفع بالداي حسين إلى توجيه تعليمات لقادة البايليكات لتعزيز الحراسة.
- ساهمت احتياطات أحمد باي حول مدينة عنابة في الحفاظ على المدينة من هجومات بحرية فرنسية محتملة، فقد كان أحمد باي يتبادل الرسائل مع الداي حسين حول الأوضاع بايليك الشرق، خاصة بساحل منطقة عنابة نظرا لأهميته بالنسبة للفرنسيين.
- رغم جهود أحمد باي اتجاه سكان عنابة وتطميناته، فإن علاقة السكان معه كانت متدهورة وهذا بسبب ممارسات أعوانه التسلطية خاصة بن زقوطة وأبناءه الحاج المكي وعمار ما دفع السكان لعدم التعاون وغلق الأبواب أمامهم.
- تميزت الأوضاع بمدينة عنابة بأنها سيئة عشية الاحتلال فإضافة لسوء الجانب المعيشي كانت المدينة تشهد عدم استقرار داخلي ترجم في ثورة غداة سقوط سلطة الأتراك بالعاصمة.
- استغل القادة الفرنسيون ظروف المدينة وحصارها من طرف أحمد باي في تهيئة الأجواء لاحتلالها، معتمدين على شخصيات أهلية وأخرى فرنسية، ما مكنها من دخول المدينة مطلع أوت ١٨٣٠م، لكنها تلقت مقاومة عنيفة من رجال القبائل المنضوين تحت أحمد باي.
- ساهمت العلاقة السيئة بين إبراهيم باي القريتي، وأحمد باي في إضعاف روح المقاومة بالمدينة، فكان من الأجدر على الرجلين تناسي الأحقاد ومواجهة العدو المشترك، بدل استنزاف جهودهما دون نتيجة.
- لعب كل من النقيبين دارمندي ويوسف دورًا خطيرًا في إخضاع مدينة عنابة للاحتلال الفرنسي، بما تميز به من مكر ودهاء في علاقتهما بإبراهيم باي من جهة، وبن عيسى من جهة ثانية، ما مكن من احتلال القصبة دون مقاومة رغم أن مهمتهم في البداية، كانت فقط تقديم الدعم لسكان المدينة لمواجهة الحصار.
- إن احتلال مدينة عنابة ١٨٣٢م، قد أثار البهجة في الأوساط الفرنسية، لما تمثله المدينة من أهمية كبيرة لمستقبل التوسع الفرنسي، لذلك علق الجنرال سولت **Soult** على الحدث بقوله: "إنه أجمل عمل عسكري للقرن"، وبعد خمس سنوات شكلت عنابة قاعدة انطلاق لاحتلال قسنطينة عام ١٨٣٧

الملاحق

الملحق رقم (١)

سفينة La Béarnaise راسية قبالة مدينة عنابة

المصدر:

Source: G.C. De Cornulier-lucinier. La prise de Bône et Bougie.1832-1833.d'apres des documents inédite, P lethie lieux, librairie éditeur, Paris P143

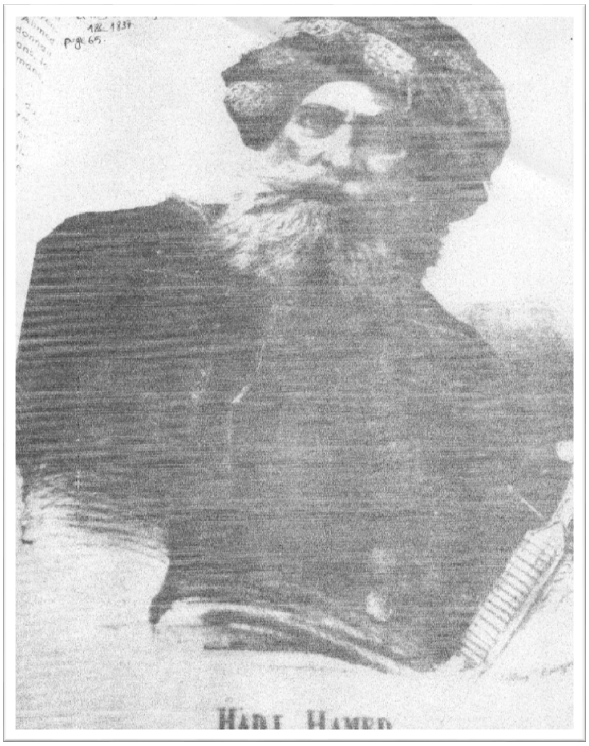

ملحق رقم (٢)

الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة

Source: Tamimi Abd el jalil,Le Beylik de constantine et Hadj Ahmed Bey,P65

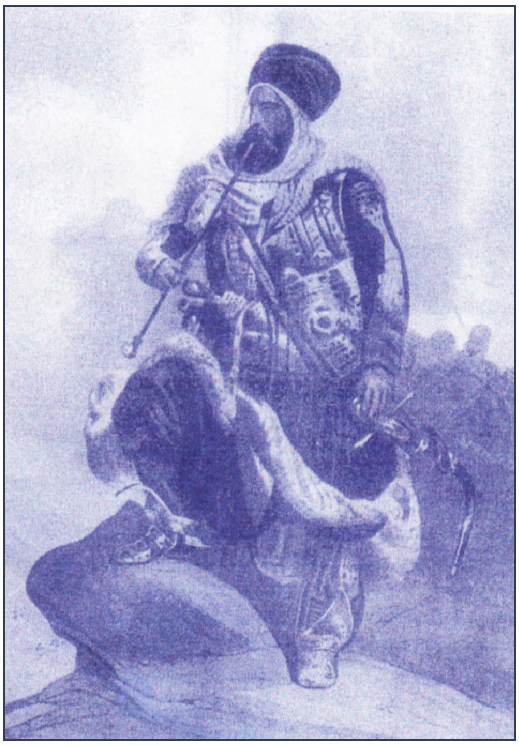

ملحق رقم (٣)

الجنرال يوسف

المصدر: أبو القاسم سعد الله، (٢٠٠٧) تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء التاسع، الفهارس العامة، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، ص ٣٤٠.

ملحق رقم (٤)

الجنرال دارمندي

Source: G.C. De Cornulier-lucinier. La prise de Bône et Bougie.1832-1833.d'apres des documents inédite, P lethie lieux, librairie éditeur, Paris. P 91.

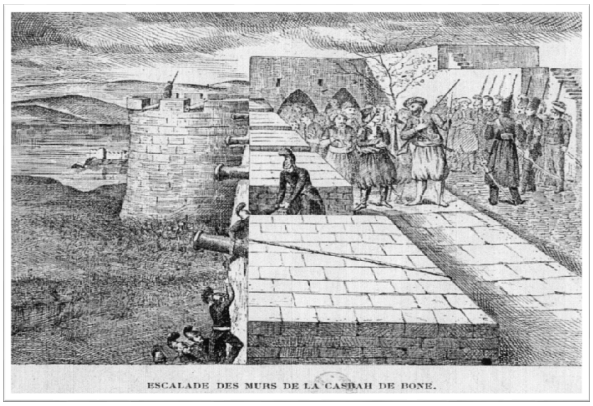

ملحق رقم (٥)

تسلق أسوار قصبة مدينة عنابة من طرف الفرنسيين

أواخر مارس ١٨٣٢م

Source: G.C. De Cornulier-lucinier. La prise de Bône et Bougie.1832-1833.d'apres des documents inédite, P lethie lieux, librairie éditeur, Paris.p179

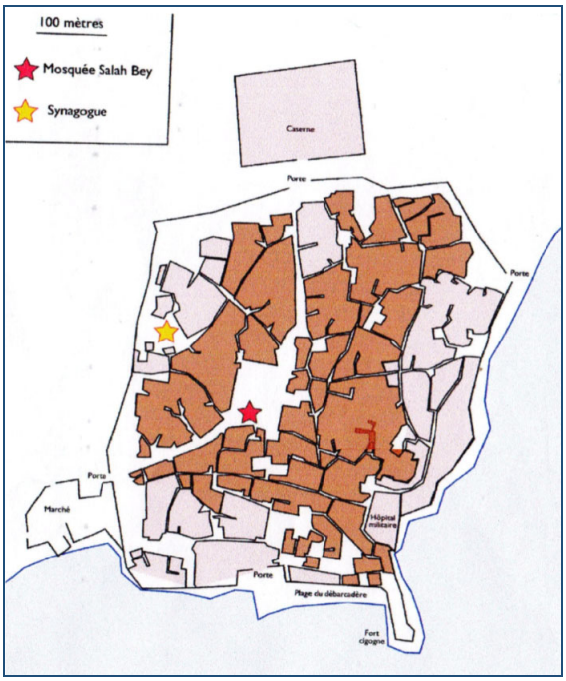

ملحق رقم (٦)

مخطط مدينة عنابة غداة الاحتلال الفرنسي ١٨٣٣م

Source: Higo Vermenen, (2015) Les Italiens a Bône, migration méditerranéen et colonisation de peuplement en Algerie 1865-1940, Thése Doctorat, Directeur Claude Chaleard, Université Paris Ouest, P. 270.

الهَوامِشُ:

(١) دوفال هو آخر قنصل فرنسي في الجزائر قبل الاحتلال، وكان في نفس الوقت تاجرًا، وكانت مواقفه الشخصية سببًا في الأزمة التي وقعت بين الجزائر وفرنسا، انظر: حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة** تقديم تقريب وتحقيق محمد العربي الزبيري منشورات **Anep** الجزائر ٢٠٠٦، ص١٤٧.

(٢) محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية (١٧٩١ – ١٨٣٠م)**، مطبعة دحلب، الجزائر ١٩٩٤، ص١٩.

(٣) **أحمد باي**: هو أحمد بن الشريف ولد سنة ١٧٨٤م من أب تركي وأم جزائرية تنتمي إلى عائلة بن قانة حضر الحملة الفرنسية على الجزائر ١٨٣٠م، وقاوم الفرنسيين حتى وفاته عام ١٨٥٠م. انظر: بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر ١٨٣٠-١٩٥٤**، الجزائر ٢٠٠٧، ص٣٩.

(٤) وهي رحلة كان يقوم بها البايات كل ثلاث سنوات إلى الجزائر لتقديم تقرير حول الأوضاع بالبايليك، وتقديم اللازمة للباشا. انظر: إبراهيم مياسي، **لمحات من جهاد الشعب الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ٢٠٠٧، ص١٥٢.

(٥) أحمد توفيق المدني، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ١٧٥٤م-١٨٣٠م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧٩، ص١٦٤.

(٦) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦٢.

(٧) وهي حصن فرنسا (الباستيون) عنابة، رأس الزهور القل.

(8) Feraud Charles, démolition des Sociétés Francaise a el Kala 1827, Revue Africaine, Volume 17, Année 1873, pp141-143.

(٩) بومطير هو قائد القبائل المجاورة للقالة المعروف عند التجار الفرنسيين بشيخ المعزولة.

(١٠) حسب شارل فيرو فإن الماركانتي هو عون للتجارة مع الأمم الأوربية وقد أعطاه الباي سلطات تعادل تلك التي بحوزة حاكم عنابة.

(11) Feraud,ch, op,cit,pp425-426.

(12) Bigonet, E, Lettre du Bey de Constantine1827, R.A, Volume N43, Année 1899, p172.

(13) Ibid, p175.

(14) Ibid, pp174-175.

(15) Ibid, p177.

(١٦) السعيد د حماني، **من هيبون بونة إلى عنابة، تاريخ تأسيس قطب حضري**، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، ط١، واد القبة، عنابة، ٢٠٠٧، ص ١٦٣.

(17) Maitrot (Capitaine) Bône Militaire 44 siècles de lutte (1912) présentation par Mohamed Lakhdar Boubaker et Saïd Dahmani, édition association Amis et élèves, Hassan El Annabi, ARAJA, 2017, p 142.

(18) Ibid, p 143.

(١٩) السعيد رحماني، المرجع السابق، ص١٦٤.

(20) Maitrot, C, op,cit, pp 114-115.

(21) Boyac, René, Histoire de Bône, Imprimerie, du Courrière de Bône, Place D'arme, et Rue vieille ville saint augustin, 1891, p 123.

(22) Hsen Dardour, Annaba 25 siècles de quotidienne et de luttes, société d'édition et de diffusion, Tome 2, Alger, 1983, p223.

(٢٣) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ٣٣.

(24) Boyac.R.op.cit.p124.

(25) Maitrot, c, op, cit, p153.

(26) Boyac.R.op.cit.p125.

(27) Hsen Dardour, op, cit, p 226.

(٢٨) هو قائد الحملة الفرنسية على الجزائر ولد سنة ١٧٧٣م، وتوفي ١٨٤٦م كان من جنرالات الإمبراطورية ثم انضم إلى لويس الثامن عشر، هو الذي أمضى رفقة الداي حسين على وثيقة الاستسلام ٥٠ جويلية ١٨٣٠م عن حمدان خوجة، **المرآة**، المصدر السابق، ص ٤٦.

(29) Boyac, R, op, cit, p 122.

(30) Ibid, p 123.

(٣١) رومبرت، **Rambert** كان وكيل محطة القل لحساب الشركة الإفريقية التي كان مقرها القالة، عاش فترة طويلة بعنابة، وفر من القرصنة وبعد الحملة وضع نفسه تحت إمرة القائد العام، شارك في الحملتين الأولى والثانية على عنابة. أدمج في الترجمة العسكرية عن:

Boyac, R , op, cit p 122.

(32) De Mont-rond, Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847, Tome1, imprimerie de E. Marc Aurel, éditeur, Paris, 1847, pp23,24,159.

(33) Boyac, R, op, Cit, P 122.

(٣٤) دامرمون **Damrémont** ولد عام ١٧٨٣م، تقلد عدة مهام بفرنسا قاد الحملة الأولى على عنابة ١٨٣٠م قتل يوم ١٢ أكتوبر ١٨٣٧م في الحملة الثانية على قسنطينة، انظر:

Narcisse Feucon, le livre d'or de l'Algérie, Tom1, libraire Algérienne et Colonial, Paris, 1889, P176.

(35) Hsen Dardour, op, cit P 223.

(36) Boyac, R, op, cit, P126.

(37) Feraud, Ch. op, cit, P07.

(38) Hsen Dardour, op, cit P 224.

(39) Boyac, R, op, cit, P126.

(٤٠) كانت البلاد المحيطة بمدينة عنابة يسكنها عدد كبير من القبائل، تعيش في حروب فيما بينها أهمها مرداس، ولهاصة، وصنهاجة، وقرب عنابة خرازة، وبني ورجين، وبني محمد بإيدوغ.

(41) Féraud, Ch. op, cit, PP ,07-08

(42) De Bonafont, Douze ans en Algérie, 1830-1842, E, Dentu, éditeur, Librairie de la Société Des Gens de lettres, Paris, 1880, P106.

(43) Hsen Dardour, op, cit P 225.

(44) Boyac, R, op, cit, P127.

(45) Ibid, P127.

(46) De Mont-Rond, op, cit, P161.

(47) Boyac, R, op, cit, PP, 130-131.

(48) De Mont-Rond, op, cit, P161.

(49) Boyac, R, op, cit, P132.

(50) Féraud, Ch. op, cit, P10.

(51) Stéphen D'estry, Histoire D'Algér, De Nos Territoire et de ses habitants, A Mame et Ger imprimeurs, librairie, Tours, 1841, P 220.

(52) Boyac, R, op, cit, P133.

(53) De Mont-Rond, op, cit, P163.

(54) Féraud, Ch. op, cit, P10.

(55) Desjobert, A, la question D'Alger, politique, colonialisation, commerce, Imprimerie de Chaplet, Paris, 1837, pp, 206-207.

(56) Berteuil Arsen, Algérie Francaise, histoire, Mœurs, coutumes, industrie, Agriculture,Tome1, Dentu Librairie, Editeur, Paris 1856, P268.

(57) Mairtrot, C, op, cit, P 157.

(58) Boyac, R, op, cit, P138.

(59) Féraud, Ch. op, cit, P13.

(٦٠) برترانـد كلوزيـل **Clauzel** ولـد يـوم ١٢ ديسـمبر ١٧٧٢م، في ميرابوا **Mire poix** شغل عدة وظائف في الجيش الفرنسي، حكم عليه بالموت سنة ١٨١٦م، وفر إلى أمريكا ثم عاد سنة ١٨٢٠ م ليصبح نائبا في البرلمان، فشل في الحملة على قسنطينة عام ١٨٣٦م، وعزل عام ١٨٣٧م، عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٦.

(٦١) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص٣٥.

(٦٢) بيرتـزين **Berthezene**: ولـد سـنة ١٧٧٥م شـارك في حـرب نـابليون بونابـارت، وفي الحملة على الجزائر ١٨٣٠م، خلف كلوزيل مطلع ١٨٣١م، فشل في الحملة الثانية على عنابة ١٨٣١م، غادر الجزائر سنة ١٨٣٢م، عن حمدان خوجة، المصدر السابق، ص٦٠.

(٦٣) هـودير **Houder**: قبل الحملة عين مندوب فرنسا بسفارة القسطنطينية، كما كلف من طرف بولينياك للتفاوض مع محمد علي باشا للقيام بالحملة ضد الجزائر، قاد الحملة الثانية على عنابة وقتل فيها في أواخر سبتمبر ١٨٣١. عن:

G.C Cornulier- lucinier,op,cit,P40.

(٦٤) كانـت فكـرة إنشـاء فـرق الـزواف **Zouaves**، للماريشـال دي بورمون الذي بادر إلى إنشاء قوات الكشافة المحلية، وقد أرسل الأغا سيدي حمدان رسائل إلى مختلف القبائل العربية والبربرية، فتجمع ٥٠٠ من هؤلاء الكشافة أواخر أوت ١٨٣٠م ولأن معظم هؤلاء كانوا من قبيلة زواوة، فقد أطلق على تشكيلهم اسم الزواف. عن:

Berteuil Arsen, op, cit, P30.

(65) Maitrot, C, Op, cit, P 157.

(66) Boyac, R, op, cit, P140.

(67) Ibid, PP, 140,141.

(68) Féraud, ch.op.cit. , P114.

(٦٩) هو إبراهيم باي بن علي، تركي الأصل شغل قائدا للحراكتة، ثم باي على قسنطينة لثلاث سنوات ١٨٢١-١٨٢٤، أثناء الغزو الفرنسي، فر إلى المدية ثم عاد إلى قسنطينة، لمواجهة

أحمد باي، ولكن هزم وفر إلى تونس وعاد إلى عنابة خلال الثورة بالمدينة، انقلب على هودير في الحملة الثانية ١٨٣١م، ثم استنجد بالفرنسيين دارمندي ويوسف، ولكنه فر مطلع ١٨٣٢م من القصبة وبقي يقاتل الفرنسيين وأحمد باي ومات بالمدية عام ١٨٣٤م.

(70) Maitrot.c.op.cit.P157.

(71) Féraud.ch.op.cit.pp115.116.118.

(72) Boyac.R.op.cit.P.142.

(73) Berteuil Arsen.op.cit.P268.

(74) G.C. De Cornulier-lucinier. La prise de Bône et Bougie.1832-1833.d'apres des documents inédite, P lethie lieux, librairie éditeur, Paris, PP 42.43.

(75) Berteuil Arsen, op.cit.PP.269-270.

(٧٦) دوفيفيي DUVIVIER: جنرال فرنسي. وكاتب عسكري، ولد بروان عام١٧٩٤م، ومات في باريس عام ١٨٤٨م، ملازم مدفعية ثم نقيب في الهندسة، شارك في الحملة على الجزائر، قائد لبجاية بين ١٨٣٣م-١٨٣٥م، ثم نائب في الجمعية التأسيسية عام ١٨٤٨ عن.

Narcisse Faucon.op.cit. p. 221 – 223.

(77) Maitrot C.op.cit.pp.158-161.

(78) Féraud.Ch.op.cit.P23.

(٧٩)**الدوق دوروفيغو**: **Duc De Rovigo** ولد عام ١٧٧٤م بمنطقة الأردان تقلد عدة مهام، حاكم على الجزائر من أواخر ١٨٣١م إلى ربيع ١٨٣٣م، احتل عنابة خلال الحملة الثالثة عام ١٨٣٢. انظر: الغالي غربي وآخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر: الخلفيات والأبعاد**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر ٢٠٠٧، ص ٣١٣-٣١٥.

(80) Boyac.R.op.cit.P150.

(81) Boyac.R.op.cit.PP.151-154.

(82) G.C Cornulier-lucinier.op.cit.P.51.

(٨٣) النقيب يوسف **Josef** أو المملوك يوسف ولد بجزيرة ألب سنة ١٨٠٨م من أم وأب مجهولين. اختطف من قراصنة تونسيين، عاش خادمًا في قصر باردو وبعد فضيحة مع ابنة أميره فر بمساعدة السيد ديسليبس إلى الجزائر أيام الاحتلال، تقلد منصب قائد للشرطة العربية ثم مترجم بالجيش ثم رئيس فرقة الخيالة، ساهم بشكل خطير في احتلال مدينة عنابة تزوج في مارس ١٨٤٢م ومات عام ١٨٦٧م انظر:

Garrot. Henry. Histoire General de l'Algérie. Imprimerie P Crecenzo .Voutes. Bastion Nord.Alger.1910.PP.174-175.

(٨٤) سفينة La Bearnaise: هي سفينة صغيرة صنعها المهندس مارستي **Marestier** الذي أرسل إلى الولايات المتحدة عام ١٨٢٨م لدراسة طرق بناء عمارات الحرب من نوع إنجليزي **Shonen** لأن مهندسوا فرنسا لم يكن لهم احتكاك بأمريكا وحتى مع الإنجليز. انظر: G.C.Connulier-Lucinier.op.cit.PP.1-2.

(85) Maitrot C.op.cit.PP.176-177.

(٨٦) فريارت **Freart**: ولد بباريس عام ١٧٩٦م، تخرج من مدرسة تورفيل (**Tourville**) ملازم سفينة ثم نقيب عام ١٨٢٨م ثم فارس الفرقة الشرفية عام ١٨٣٦م ساهم في احتلال عنابة ببحارته مات في مونبيليه عام ١٨٣٨م. انظر:

Garrot.Henry.op.cit.P.166.

(87) G.C.Cornulier -lucinier.op.cit.70-73-75.

(٨٨)دارمندي، **Darmandy**: ولد عام ١٧٩٤م تخرج من سانسير عام ١٨٢٢م رقي في الحرس الملكي، قام بعدة جولات إلى الخليج وفارس والهند، وفي عام ١٨٢٦م رقي إلى نائب قنصل، وفي عام ١٨٣١م أرسل إلى الجزائر شارك بفعالية مع يوسف في إخضاع عنابة عام ١٨٣٢م ومات عام ١٨٧٣م. عن: Garrot.Henry.op.cit.P172.

(89) G.C.Cornulier-lucinier.op.cit.PP.79-80.

(90) Maitrot C.op.cit.PP.180-184.

(91) G.C.Cornulier-lucinier.op.cit.P.109.

(92) De Mont-rond.op.cit.P.166.

(93) Maitrot C.op.cit.P192.

(94) Hsen Dardour, op, cit PP 249-250.

(95) G.C.Cornulier-lucinier.op.cit.PP.151-152.

(96) Ibid. PP.118-119-123.

(97) Maitrot C.op.cit.P202.

(98) Féraud.Ch.op.cit.P168.

(99) Maitrot C.op.cit.PP.204-205.

(100) Ibid.P.205.

(101) Féraud.Ch.op.cit.P169.

(102) Maitrot C.op.cit.P206.

(103) Ibid.PP.206-208.

(104) Féraud.Ch.op.cit.PP.209-210.

(105) Ibid.P174.

(١٠٦) الجنرال دوزر **D'uzer**: قائد فرع قسمة عنابة بين ١٨٣٢م-١٨٣٦م، دخل في صراع مع يوسف، أطلق اسمه على قرية نواحي عنابة **Duzerville** (الحجار حاليًا) توفي سنة ١٨٤٩م، انظر: Boyac.R.op.cit.P.130.

(107) Maitrot C.op.cit.P228.

(108) Stephen.D'estry.op.cit.P.268.

(109) De Mont-Rond.op.cit.PP.171-173.